الفصل السَّابع

مصّ الأصابع

يخاف الآباء والأُمّهات من عادة مصّ الأصابع، ويزداد خوفهم عند سماع الأحاديث الإذاعيَّة والتلفزيونيَّة التي تُبيِّن ما يمكن أنْ تُحدثه هذه العادة من أضرار وخاصة في مجال تشوُّهات الفم والأسنان،فيحاولون منعها ـ غالباً ـ بوسائل مُتعدِّدة تعتمد في المقام الأول علي الشدة والعنف،ممَّا يُسئ للطفل أكثر من العادة نفسها،وهذا ما يجعله أكثر تشبُّثاً بها!!

هناك الكثير من العادات التي يألفها الطفل منذ صغره،وربما تأصلت في نفسه مع كبره،والتي يمكن أن ينتج عنها العديد من المشكلات علي الصعيد الجسمي أو النفسي. وتحتاج مثل هذه العادات لانتباه الوالدين،ومحاولة القيام بعلاج هذه الحالات قبل تأصلها وتحولها إلي حالة مرضية٠

وعادة مصّ الأصابع Digital Sucking عند الأطفال من العادات الشائعة والمألوفة في جميع أنحاء العالم، فتُسميّ هذه العادة في الدول الأوروبيَّة عادة"مصّ الإبهام"لأنَّ الإبهام هو الأكثر استعمالاً في عادة المصّ.ونحن هنا نُسميها"مصّ الأصابع" بدون تعيين للأصبع المُستعمل.والواقع فإن الطفل قد يمصّ أصبع من أصابعه،وقد يمصّ أكثر من أصبع واحد أحياناً،كما أنه قد يمصّ إبهام قدمه في أحوال شاذة.

وقد يعتاد الطفل أن يُرافق عادة المصّ هذه بعادات أُخري يُجريها باليد الثانية،كشدّ الأذن،أو الشعر،أو حك لأنف،أو حك الذقن،أو لمس العضو التناسلي،أو ضم لُعبته المفضلة.

مصّ الأصابع..عادة غريزية طبيعية:

يقول أحد الأطباء:"إنَّ كُلّ طفل لابدّ أن يمصّ أصابعه في وقتٍ من أوقات طفولته. وهي عادة تنتشر عند غالبية الأطفال الرضع، إذ تصل إلي نسبةٍ تتراوح من ٥٠ إلي ٨٥٪ أحياناً.

وفي إحصائية أمريكية واسعة وُجد أنَّ٢٣ , ٥٪ من الأطفال في عُمُر السنتين مُعتادون علي مصّ الأصابع،وتتدني النسبة لتصبح ٦,١٤٪ في عُمُر الخمس سنوات.

وقد أعتبر بعض الباحثين في علم نفس الطفولة أن مصّ الأصابع يُشكِّل غريزية طبيعية عند الطفل يُمارسها عادةً في الأشهر الأوَّلي عقب ولادته،وغالباً ما تكون واضحة في الأشهر السَّتة الأوَّلي من عُمُر الطفل،وتكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنَّوم، وقد تُساعده عليه، ويكاد يختفي هذا الارتباط الوثيق عند بلوغ الطفل سن الثلاث سنوات.

وقد يبقي مصّ الأصابع أياماً أو أسابيع، وقد يستمر ويبقي حتى سن الخامسة أو السَّادسة من العُمُر، وتقلّ هذه العادة بشكلٍ نسبي بعد سن السَّابعة.

وقد يعتاد الطفل مصّ"اللهاية"،أو كما نطلق عليها أحياناً"السكاتة"،إن أُعطيت له في وقت مبكر"لتلهيه"عندما يهم بالبكاء. وحكم مصّ"اللهاية"كحكم مصّ الأصابع،وهذه العادة أكثر انتشاراً في البيئات الاجتماعيَّة التي تُعطي"اللهاية"منذ الأيام الأوَّلي بعد الولادة. وفي البيئات التي لا تزال مُحافظة علي عادة "لتقميط" (أي لف الطفل بالقماط) إذ أنَّ الطفل عندئذ لا يستطيع استعمال أصبعه أو مصه لو أراد،كما أنَّه يُصبح بحاجةٍ أشد للتهدئة لكثرة بكائه،بسبب انزعاجه الشديد من جرَّاء تقييده،فيعطي"اللهاية"لإسكاته ومن ثمّ يتعوَّد عليها.

طبيعة مصّ الأصابع:

الحركات التي يؤديها الطفل بأصابعه خلال فترة الرضاعة تُعتبر سلوكيات غير منتظمة أو غير واعية، فهو بطريق الصدفة يضع أصبعه في فمه حيث يُمنح بذلك الفرص لتجريب شعور قريب للغاية من الرضاعة الحقيقية؛ولأنَّ الحركة هذه تُعطيه شعوراً بالرضاعة، فهو يقوم بتكرَّارها مرَّات كثيرة، كُلَّما سنحت له الفرصة كي يستمتع بها متى رغب بذلك.

وعادة مصّ الأصابع عادة مُحكمة التنظيم من الحركات العضليَّة، وتنفع الطفل نفعاً كبيراً في مطلع حياته، كما أنَّها رد فعل طبيعي غريزي. والفرق الوحيد بين مصّ الطفل لثدي أُمّه ومصّه لأصابع يديه هو أن الفعل الأوَّل مُفيد ولذيذ معاً،بينما الثاني - علي لذته - لا منفعة منه،بل قد يؤدي - أحياناُ - إلي تشويه الفك.

ويمكن اعتبار كُلّ عادات المصّ والعض وسيلة لإثارة إحساسات تنشأ بالتأثير في أجزاء البدن المختلفة التي يمكن أن يحصل عليها الفرد علي أقدار مختلفة من الرِّضا والإشباع.وتعتمد شدة استمساك الطفل بهذه العادات علي شدة تلك اللَّذة،والأطفال يتفاوتون تفاوتاً كبيراً ـ كتفاوت الكبار ـ فيما يتعلَّق بالبطء في التخلُّص من السعي وراء اللَّذة.

مصّ الأصابع ..بين الرضاعة الطبيعية والرضاعة الاصطناعية:

غريزة المصّ هي أقوي الغرائز عند الرضيع، وكيف لا، أليس اسمه الرضيع!! لنتأمل الطفل بعد الولادة حين يُلامس فمه حلمة ثدي الأُمّ مرَّة..إنَّه يبدأ في امتصاصها بلا تفكير.وبدون هذه الغريزة لن يستطيع مثل هذا الرضيع أن يعيش،فكُلّ غذائه في الشهور الأوَّلي يكون عن طريق الامتصاص من الثدي (الرضاعة الطبيعيَّة)،أو الامتصاص من زجاجة الحليب (الرضاعة الاصطناعيَّة).

والطفل حين يرضع يحاول إشباع غريزة المصّ، وغريزة الجوع،وهو حين يتناول زجاجة الحليب"البزازة"ويفرغها، تبعدها الأُمّ عن فمه حتى لا يمتص الهواء،فيُصاب بالمغص.وعادةً يكون الرضيع قد شبع تماماً،ولكن هل أشبع غريزة المصّ ؟ وهل تمتع بالمصِّ للمدة التي يشاؤها ؟ هذا أمر مشكوك فيه تماماً،وخصوصاً إذا كبر في العُمُر واستطاع أن يُنهي"البزازة"بسرعة.

ولعلّ الكثير من الأُمّهات يلاحظن أنَّ الطفل يقاوم مَنْ يُحاول نزع الزجاجة من فمه بعد فراغها،ويتعجبن من هذا،فهن يفسرونه بأنَّه جوع بالرغم من كفاية كمية الحليب،ولكن الواقع..إنَّ الطفل يحتاج إلي إشباع هذه الغريزة المُسيطرة ـ غريزة المصّ ـ حتى بعد أن انتهي جوعه.

أمَّا عند الوليد الذي يرضع من الثدي فإنَّ الأُمّ تتركه حتى يشبع ويترك الثدي بنفسه،وهو هنا يُعلن إشباع جوعه ورغبته في المصّ معاً،ولذا لوحظ أنَّ نسبة الأطفال الذين يقومون بمصّ الأصابع تزيد كثيراً بين الأطفال الذين يتناولون زجاجة الحليب

"البزازة"عن أولئك الذين يرضعون ثدي أمهاتهم، فالفئة الأوَّلي أُمّهاتهم هي التي تدفع "البزازة"عنهم ـ سواء رغبوا أم لم يرغبوا ـ حين تفرغ،والفئة الثانية فإنَّهم يرضعون وفق هواهم حتى يتركوا الثدي في كبرياء المستغني.

وتبدأ عادة مصّ الأصابع عند الطفل المولع بالمصِّ والذي يفتقر إلي اهتمام الأهل ـ بمحض الصدفة ـ فالطفل يُحرِّك يديه تجاه وجهه فإذا بقبضة يده أو أصبعه تلاقي شفتيه فيمصّه،ويجد في هذا المصّ شيء لا يصدقه عقل، وإنَّه يبعث فيه شعوراً بالرَّاحة كان ينشدها من قبل، فيستمر علي هذه العادة السارة بالنسبة له،المؤرقة بالنسبة لأهله !!

أهم الآراء العلميَّة التي تناولت عادة مصّ الأصابع:

- **الرأي الأوَّل:**

يري أنَّ عادة مصّ الأصابع عادة مفيدة وهادفة،يجد فيها الطفل الرَّاحة والتهدئة والتسلية،ذلك أنَّ في كُلِّ مرَّة يحس ألم الجوع،فيضطرب ويبكي،ويُعطي الثدي أو زجاجة الحليب "البزازة"فيمصّ،فيحصل علي الحليب،فيشبع ويرتوي ويزول اضطرابه ويهدأ .

ومع التكرَّار تقترن لديه عملية المصّ بزوال الاضطراب والحصول علي الرَّاحة والاطمئنان،لذا نراه يلجأ إلي مصّ الأصابع أو اللهاية "السكاتة" والتي تُسمىَّ بالإنجليزية "المهدئة" في كُلِّ مرَّة يشعر فيها بالاضطراب لأي سبب كالجوع ،أو التَّعب، أو الملل، أو الألم.

- **الرأي الثاني:**

يؤكِّد أنَّ عادة مصّ الأصابع هي عادة تطورية مرحلية، والدليل علي ذلك أنَّ الطفل قد يبدأ بهذه العادة من حياة الرحم،وقبل أن يرضع الثدي.ثبت ذلك بكُلِّ تأكيد لمَّا يُري من آثار المصّ علي الأصابع أو اليد عند الوليد أحياناً،وقد ذكر بعض الأهل مرَّة أنَّهم سمعوا أصواتاً غريبة لحظة ولادة طفلهم،ثُمَّ تبيَّن لهم بعد لحظات

أنَّها ناجمة عن مصّ الأصابع، ولا ننسي الوضعية الطبيعية للجنين وللوليد وهي أن تكون يده قريبة من فمه،فلم لا يضعها في فمه، ثُمَّ يمصَّها ؟ ونحن نعلم أن الفم هو الوسيلة الأوَّلي للتعرُّف والاختبار.

●الرأي الثالث:

يقول أنَّ عادة مصّ الأصابع هي عادة تعويضية، وسببها عدم إتاحة الفرص الكافية للطفل كي يُشبع نهمه للمصِّ؛ لذا نري هذه العادة أكثر انتشارا في البيئات الغربيَّة،حيث يُعطي الطفل ـ علي الأغلب ـ زجاجة الحليب في أوقات مُحدَّدة مُنظمة،بينما تقل أو تنعدم في البيئات الفطرية،حيث تُعطي الأُمّ ثديها لصَّغيرها كُلَّما شعرت أنَّه بحاجة إليه، دون تقيُّد بوقتٍ مُحدَّد أو مدة مُعيَّنة، فيشبع حاجته للمصِّ كما يُشبع حاجته للغذاء.

●الرأي الرابع:

اعتبر"فرويد"أنَّ مصّ الأصابع في كتاباته السيكولوجيَّة من الظواهر الجنسيَّة للطفل. والطفل لا يستعمل أشياء أخري للمصِّ،ولكنَّه يُفضل أصابعه وجلده ليقنع نفسه بأنَّه في غني عن العالم الخارجي الذي ما زال يتحكَّم فيه.وإذا استمر الطفل يُمارس عادة مصّ الأصابع بعد المرحلة الفمية السَّادية التي تلي المرحلة التي يسود ارتباط اللَّذة الجنسيَّة بإثارة الفجوة الفمية والشفتين التي تلازم تناول الغذاء،فقد يكون هذا مؤشراً علي أنَّ الطفل يُعاني من حالة قلق نفسي وشعوراً بالذل والمهانة وضعف الشخصيَّة.

●الرأي الخامس:

يقول بأنَّ المصّ ليس آلية لتلقي الغذاء فقط، بل كذلك يُفيد في منح الوليد شعوراً بالسيادة والنشوة. إنَّ الوليد يمتلك طاقات كافية تفوق ما قد يتصوره بعضنا،ويحتاج إلي صرفها و لا يستطيع في هذه المرحلة المبكرة من عُمْره أن يصرفها إلاَّ عن طريق هذه الآلية، لكونه لا يقدر علي الكلام أو الحبو،فإن توافرت له الفرصة لصرف هذه الطاقة من خلال الرضاعة الطبيعيَّة مع دفء وحنان الأُمّ، فإن هذه الطاقة تُصرف وبشكلٍ طبيعي،ولكن عندما تعمد الكثير من الأُمّهات إلي استعمال "البزازة" بديلاً عن

حليبها وحنانها، وبالتالي لا يستطيع الرضيع صرف طاقاته الكامنة فيصرفها بالطريق الوحيد الممكن لديه،وهو المصّ وبخاصة مصّ الأصابع.

ولا شك أنَّ الطفل يريد شيئاً من وراء هذه العملية،فإذا كان يُكثر من مصّ أصابعه قبل دقائق من تقديم الطعام فهذا يعني أنَّه جائع.

الأسباب التي تؤدي إلي ظهور عادة مصّ الأصابع:

- تزداد هذه العادة وضوحاً ورسوخاً عندما لا يشعر الطفل برفقة أُمّه وصحبتها، وحينما يُترك وحده؛ فيلجأ إلي مصّ الأصابع،وحين تُقطع عنه الرضاعة الطبيعيَّة وتحرمه الأُمّ من لذة الاتصال بها.
- شعور الطفل بالقلق والوحدة والعزلة والانفعال الشديد والانقباض، كما ترتبط عادة مصّ الأصابع بالعقوبات الموقعة علي الطفل، وخيبة الرجاء، وكثرة التأنيب.
- التطوُّر الاجتماعي الذي جعل المرأة تخرج للعمل وبذلك يكون هناك بعض الإهمال في إرضاع الوليد رضاعة طبيعية.

وقد أُجري بحث علي أُمّهاتٍ لا يقمن بإرضاع أطفالهن جاء فيه أنَّ ٦٤٪ منهن قد برَّرن موقفهن هذا لأسبابٍ وظيفيةٍ، وأنَّ ١٣٪ قد برَّرن عدم إرضاعهن لأطفالهن لأسبابٍ جماليةٍ،بينما برَّرن الأُمّهات الباقيات ونسبتهن ١٢٪ موقفهن لأسباب الدعاية التي استطاعت إقناعهن بأنَّ الحليب المُصنَّع أفضل للرضيع من حليبهن.

- أحد الأسباب التي تعمل علي إطالة عادة مصّ الأصابع، أو زيادة احتمالاتها في الظهور هي ولادة طفل جديد في الأسرة،الأمر الذي يؤدي إلي اهتزاز شعور الطفل بالأمان والحُبّ نحو والديه، فيندفع كليةً نحو ذاته وهو من خلال ذلك يتذكَّر الشعور الممتع بالرضاعة،ممَّا يحدو به ـ بطريقةٍ ذاتيةٍ ـ لوضع إصبعه في فمه للعثور ثانية علي لذته الضائعة.

- يلجأ الطفل إلي هذه العادة إذا عمل والداه علي كبح نشاطاته وتخليا عنه،أو انتابه شعور بالألم،وفقدان المحبَّة الأُسرية،ممَّا يخلق لديه ردود فعل تبرز علي شكل عيوب وسيئات تظهر لديه في الكِبر.

- منع الطفل من اللَّعب مع أقرانه الصِّغار،أو رفضه من قِبل رفاقه،وهي الأمور التي تجعل الطفل يلجأ إلي مصّ أصابعه.

- وجود الطفل في بيئةٍ مشحونة بالانفعالات والمنازعات وهذا يؤدي بالطبع إلي دفع الطفل كي يُمارس عادة مصّ الأصابع، هرباً من الواقع المؤلم الذي يُخيم عليه وعلي أسرته.

- وجود طاقة فائضة وزائدة لدي الطفل تدفعه للجوء إلي هذه العادة بغية تفريغها والتخلُّص منها.

- شعور الطفل بعجزه الجسمي أو الحسي أو العقلي، أو شعوره بأنَّه أقلّ ممَّن حوله في الوسامة أو الأهمية الأمر الذي يجعله غير مستقر عاطفياً ونفسياً.

- تحدث عادة مصّ الأصابع في أغلب الأحيان عندما يشعر الطفل بالجوع،أو الملل،أو الخجل، أو بالتعب والشعور بالنُعاس،كما قد تكون مصاحبة لعملية التسنين إلي حد أنها قد تختفي تماماً عند بلوغ الطفل لشهره الخامس،وتعود وتظهر فجأةً بعد ذلك عند ظهور أسنان جديدة بالفم.

- قد تظهر عادة مصّ الأصابع عند الأطفال العُصابيين، وهي تكون عَرَض من الأعراض العامَّة،ذلك لأنَّ الطفل ينام قليلاً،ويتأفف في أكله، ويكثر بكاؤه، وتُصيبه نوبات كثيرة من الغضب، كما تبدو عليه دلالات أخري من عدم استقرار الجهاز العصبي.

وفي مثل هذه الأحوال لا ينصح الأطباء باستخدام أي طريقة من طرق المنع؛لأنَّها تؤدي إلي مقاومة بدنية، كما أنَّ العصيان العقلي الذي يثور بنفس الطفل يُزيد من اضطرابه العصبي العام الذي ينبغي أن ينصرف إليه اهتمامنا قبل أي شيء آخر.

دراسة حالة طفلة ظهرت عليها عادة مصّ الأصابع:

نستعرض في الفقرات التالية حالة طفلة ظهرت عليها عادة مصّ الأصابع كعَرَض من أعراض عامَّة:

أحضرت إحدى الأُمّهات ابنتها إلي العيادة النفسيَّة لعجزها عن منعها من التخلُّص من عادة مصّ الأصابع،مع أنَّ هذه العادة لم تكن سوي عَرَض ثانوي إلي جانب المقاومة والعناد في حياتها .لم تكن الطفلة تجد أي وسيلة للسلوى سوي مصّ أصابعها .ومع أنَّ المشكلات الرئيسة التي كان ينبغي علاجها من جانب الأطباء كانت أكبر خطراً من عَرَض مصّ الأصابع،إلاَّ أنَّ الأُمَّ أحضرت الطفلة لهذا الغرض.

الطفلة تبلغ من العُمُر سنتين وثمانية أشهر،تقضي وقتاً طويلاً في مصّ أصابعها خاصَّة إذا انتابتها حالة الاكتئاب،فتضع في فمها أصبعين وتقنع بالجلوس هادئة تمتصهما. أمَّا إذا تمَّ عقابها بوضعها في الفراش اشتد سرورها لأنَّها سوف تتفرَّغ لمصّ أصابعها.

وهي طفلةٌ نشطة،مولعة باللَّعب خارج البيت،يسرها أن توجد مع غيرها من الأطفال رغم أنَّه من الصَّعب عليها أن تُفلح في اللهو معهم، باستثناء أختها الصَّغيرة.وهي طفلة مُحبة للسيطرة،مشاكسة،خشنة،تميل إلي الشجار مع مَنْ يصغرها سناً من الأطفال.

وهي دائمة"الزن"،سريعة التهيُّج، قليلة الصبر، وإذا واجهت موقفاً يسوؤها ردت عليه بنوبةٍ عنيفةٍ من نوبات الغضب،فتطرح نفسها أرضاً،وتضرب بقدميها،ويعلو صراخها،وإذا حصلت علي الشيء الذي تريده فسرعان ما نقذف به بعيداً.

وذكرت الأُمّ أنَّها لا تصرف وقتاً طويلاً مع الطفلة، وأنَّها لا تُبدي عطفاً كثيراً نحوها .لقد كان اهتمامها بالطفلة مُجرَّد اهتمام سطحي، فهي تُعطي ابنتها زجاجة كي تتغلَّب علي عادة مصّ أصابعها.

إنَّ أهم مظاهر هذه الحالة وضوحاً هو قلّة حنان الأُمّ علي أطفالها، وفي المقابل عدم اكتراث الطفلة بوالديها، ووقوفها موقف العناد من الحياة، فلقد كانت تفعل علي الدوام نقيض ما يُطلب منها.

ومن هنا يتحتَّم علي الآباء والأُمّهات بمُجرَّد ظهور حالات العناد - في أوَّل الأمر - أن يقللوا من أهميتها ما أمكن ذلك، وأن يعملوا علي ألاَّ يجني الطفل شيئاً باتخاذه هذا السلوك،والأهم من ذلك ألاَّ نناقش هذا الأمر في وجود الطفل.

وتبرز هذه الحالة أهمية السماح للأطفال بالاختلاط بغيرهم ممَّن هم في مثل سنهم،فالطفل منذ مطلع حياته قادر علي الانتفاع من صلاته بغيره،إذ تتاح له الفرصة لرؤية أفعال كأنَّها منعكسة في مرآة في ردود الأفعال التي يقوم بها مَنْ هم في مثل سنه،وهو موقف كفيل بأن يُحسن فهم الأمور،وأن يتخذ الطفل موقفاً أكثر عطفاً علي غيره بفضل هذا الفهم.

ومع أنَّ الطفلة لم تبلغ بعد الثالثة من عُمْرها،إلاَّ أنَّها كانت تتحوَّل سريعاً إلي طفلة قليلة العطف،تتظاهر بمحبة غيرها في سبيل الحصول علي ما تبغي فحسب. وهذا الموقف - بطبيعة الحال - ليس إلاَّ موقفاً منعكساً عن موقف الوالدين نحو الطفلة،ولهذا لم يكن من الغريب أن تستخدم من التصرَّفات ما ينافي الحياة مع النَّاس،مثل:نوبات الغضب والعناد حتى تدفع عن نفسها خطر إغفالها كُلّ الإغفال من مُحيط الأسرة.

وكانت الخطة الموضوعة لعلاج مثل هذه الفتاة موجهاً - بالدرجة الأوَّلي - إلي الأُمِّ،حيث وضع الأطباء لها خطة تسير عليها،تتلخص في ضرورة تغيير موقفها السَّلبي تجاه طفلتها،وأن تغمرها بالحنان والاهتما٠ .وينتظر أن تتحسن حالة الطفلة تحسناً كبيراً عند دخولها المدرسة والاتصال يومياً بغيرها من الأطفال.

وقد تقدَّم حال الطفلة إلي حدٍ كبيرٍ عندما تحوَّلت مشاعر الأُمّ إلي طفلتها فأغدقت عليها من الحُبِّ والحنان ما جعلها تُحس بأهميتها،وأنَّها موضع الرعاية والاحتضان من جميع أفراد أسرتها.

أهم الآثار السَّلبيَّة لعادة مصّ الأصابع عند الأطفال:

كان الآباء والأُمّهات ينفرون من عادات الفم السيِّئة كمصّ الأصابع،وقضم الأظافر..وغيرها من العادات المتعلقة بالفم،غير أنَّ هذا النفور قد ازداد واشتد في

الآونة الأخيرة،وخاصَّة بين الآباء والأُمّهات الذين كانوا يحاولون أن يتتبعوا الآراء الحديثة في تربية الأطفال وتنشئته٠.

ويرجع ذلك إلي أنَّ إحدى مدارس العلاج النفسي القوية وهي" مدرسة التحليل النفسي" التي أرسي قواعدها" سيجموند فرويد"،والتي تُعلِّق أهمية كبيرة علي هذه العادات،فيما راحت تؤكِّد تأكيداً يقينياً أنَّ لها معني جنسياً عظيماً.وكثيراً ما يسأل الآباء والأمهات عمَّا إذا كان مصّ الأصابع لا يؤدي إلي بعض الانحراف الجنسي المقيت،أو لا يُعتبر دلالة علي سوء الأخلاق!!

وكُلّ ما يمكن الإجابة عليه في هذا الصدد هو القول:إذا كان مصّ الأصابع دلالة علي الرغبات الجنسيَّة المتأججة، فلنعتبر هرش الرأس، وتنظيف الأنف من هذا القبيل كذلك !! وإنَّه إذا سلمنا بهذه النظرية تمام التسليم وجب أن يكون إدراكنا للنشاط الجنسي مبايناً تمام التباين للرأي الذي يقول به أكثر الناس فطنة ورجاحة عقل في عصرنا الحاضر،بأنَّ هذه العادة إنمَّا هي من العادات الشائعة بين جميع الأطفال،حتى ليمكن القول أنَّها أصبحت بمثابة العُرف عند هؤلاء الأطفال.

والمألوف والعادي أن تكون أموراً عابرة مؤقتة لا تستقر استقراراً دائماً أو قوياً في جنبات شخصية الطفل،ومع هذا ينبغي أن نذكر أن التخلُّص من هذه العادة وغيرها من عادات الفم السيئة أمرٌ لابدّ منه.

ولقد بدا الهجوم علي عادة مصّ الأصابع في العالم الغربي مع نهاية القرن التاسع عشر،أمَّا قبل ذلك فلم يكن يُنظر إلي مصّ الأصابع علي أنَّه عادة سيئة أو مشكلة صحية،بل تدلنا الصور الكثيرة الموروثة من القرون الماضية التي صُور فيها الأطفال الصِّغار وهم يمصون أصابعهم علي أنَّه كان يُنظر إلي هذه العادة علي أنها شيء طبيعي مألوف،بل ومُحبَّب أيضاً !!

وكان أطباء الأسنان هم أوَّل مَنْ حذروا من مضار عادة مصّ الأصابع،ثُمَّ تبعهم علماء النفس،وأطباء الصحَّة العامَّة.ويؤكِّد أطباء الأسنان من خلال الدلائل التجريبية

والسريرية والتي أوضحت أنَّ ضغطاً يستمر من ٤ إلي ٦ ساعات يومياً ضروري لتحريك السن،ولذلك فإنَّ الطفل الذي يمصّ أصبعه بشكلٍ متقطعٍ رغم الشدة العالية لا تنجم عنها حركة علي الإطلاق، علي حين أن الطفل الذي يمصّ أصبعه بشكلٍ مستمرٍ لفترةٍ تزيد علي ٦ ساعات يومياً يمكن أن تحدث له تغيُّرات سنية مهمة.

والأعراض الكلاسيكية لعادة نشطة عند الطفل تتعلَّق بالأسنان مثل مصّ الأصابع يمكن أن تدفع الأسنان الأمامية العلوية نحو الشفة،أمَّا الأسنان الأمامية السفلية فتندفع نحو اللسان،بما ينتج عن ذلك من نقص في التغطية العمودية للأسنان،وهذا ما يُسميّ بـ"العضة المفتوحة الأمامية".إنَّ الأسنان الموجودة علي قواعدها العظمية في الفم تخضع لتوازن عضلي دقيق بين اللسان من جهةٍ،وبين بقية العضلات المُحيطة بالفم من جهة أُخري.هذه العادة تُفسد التوازن العضلي الدقيق واللازم ممّا يؤدي لتشوهات عديدة ينتج عنها تضييق في الفك العلوي.

كما أنَّ حركة مصّ الأصابع قد يؤدي إلي انبساط سقف الفم ونتيجة لذلك فقد تحدث لدي الطفل لثغة كلامية تشوه عملية النطق وتُسبِّب له إرباكاً في المستقبل.وقد يؤدي المصّ المستمر للأصابع إلي صعوبة المضغ والتنفس وضعف نمو الفكين.

وعلماء النفس أخافوا الأهل قديماً من عادة مصّ الأصابع وجعلوها دليلاً علي انحراف شخصية الطفل،وأكَّدوا أنَّها تؤدي إلي انحرافات وعادات شاذة دائمة في الكِبر. ولكن ثبت فيما بعد خطأ هذه الآراء، وأنَّ خوف الأهل المُبالغ فيه غير منطقي.

ولكن إتباعهم الطرق المختلفة غير السليمة لإبطال هذه العادة،هو الذي يجعل الطفل قلقاً،مضطرباً،خائفاً،وخجولاً مُفضلاً الوحدة والعزلة.كما أنَّ وقوف الأتراب والأصدقاء والمُعلِّمين في المدرسة موقف الناقد المستهزئ يُزيد من تفاقم المشكلة،وقد يجعل الطفل يفقد احترامه لنفسه، الأمر الذي يُهيئ لحدوث"عقدة النقص".

أمَّا أطباء الصحَّة العامَّة فذكروا آثار سيئة كثيرة لمصّ الأصابع،منها :أنَّ هذه العادة تُحدث كثيراً من التشوُّهات والآفات في التجويف الفمي،والحلق، واللوز، والجهاز

الهضمي،وحتى في العمود الفقري، وتعرُّض الطفل إلي الأمراض والتسمُّمات.ولم تثبت صحَّة هذه الآراء بشكلٍ جازمٍ،التي هي اقرب إلي الظنون والمخاوف.ولكن الطفل قد يتعرَّض بالفعل إلي بعض هذه المخاطر،فقد روي في الأدب الطبي أن أحد الأطفال تعرَّض للتسمُّم بالرصاص لأنَّ أباه كان يترك آنية الدهان قريبة من متناول يد طفله الذي كان مُعتاداً مصّ أصابعه. كما أنّ! هذه العادة في حالاتها الشديدة تؤدي إلي تشوه الأصبع الذي يُستخدم في عملية المصّ.

أهم مقترحات العلاج:

- إنَّ الاهتمامات والتجارب الجديدة التي يكتسبها الطفل إلي جانب لعبه،تخلق له وعياً بذاته داخل المجال الأُسري،ممَّا يؤدي لتخلي الكثير من هؤلاء الأطفال عن عادة مصّ الأصابع،ولا يبقي متمسكاً بها سوي ١٠ ـ ١٥٪ منهم فقط.
- إنَّ أفضل وقت لأن تُغيِّر الاهتمام بمصّ الأصابع هو عندما يبدأ الطفل محاولاته الأوَّلي،لا بعد أن ينجح في محاولاته،ذلك لأنَّ الأطفال لا يمكنهم السيطرة علي حركة أذرعهم وأرجلهم خلال الشهور الأوَّلي،فالواحد منهم نراه يُجاهد لرفع يديه فاتحاً فمه باحثاً عنهما،وإذا أسعفه الحظ والتقط إحدى يديه فإنه يروح يمصها بقوةٍ ما دامت داخل فمه.

والأشهر الثلاثة الأوَّلي هي الفترة التي يحتاج خلالها الطفل لأكبر قدر من المساعدة؛لأنَّ حاجته إلي المصّ تكون في ذروتها..وبعد انقضاء تلك الفترة تأخذ حاجته إلي المصّ تقل شيئاً فشيئاً إلي أن تزول لدي معظم الأطفال ما بين الشهرين السَّادس والسَّابع،والاستمرار بعد هذه الفترة ما هو إلاَّ دليل علي التسلية حسب رأي البعض.

- لا يجوز التدخل مطلقاً في هذه العادة، ومحاولة معالجتها ما دامت في الحدود الطبيعيّة؛لأن الطفل سوف يتخلي عنها بشكلٍ عفوي.
- في حالة ولع الطفل بهذه العادة بعد دخوله السنة الثالثة من العُمُر فلابدّ من البحث عن الأسباب الحقيقية التي تكمن وراء ظهور هذه العادة واستمرارها إلي هذه السن؛ لأنَّ أي مُعالجة لا تأخذ الأسباب بعين الاعتبار تُعد مُعالجة فاشلة.

- لا يجوز أبداً اللجوء إلي التهديد أو المُعاقبة، ولا يجوز بذل الجهد والتحمس الزائد لإيقاف عادة مصّ الأصابع،ولا يجوز مؤاخذة الطفل وتوبيخه باستمرار،فهذا كُلّه مؤذٍ وضار،وتجعل الطفل قلقاً ومشمئزاً،وغير سعيد،وكذلك الأمر بالنسبة لطرق الاستهزاء والإغاظة والتخجيل،بل لا يجوز التحدث عن هذه العادة،وإثارة الضجة حولها؛لأنَّ الطفل سيلجأ إليها عندئذ كوسيلةٍ للفت الأنظار إليه،وهذه الطرق هي التي يتبعها الأهل للتخلُّص من هذه العادة ولكنها لا تؤدي إلاَّ إلي زيادة الولع بها.

- من الخطأ الفادح أن يرتكب الأهل حماقات مُعيَّنة بحق الطفل،مثل:ضربه،أو تأنيبه،أو حرق إصبعه بالنَّار،أو دهنه بالفلفل الحار.. إنَّ كُلَّ هذه التصرُّفات غير المسؤولة تؤدي إلي تكريس هذه العادة لدي الطفل وتجعله أكثر عناداً وشراسة وإصراراً علي معاودة مصّ الأصابع.

- إنَّ الخطر لا يكمن في عادة مصّ الأصابع بل بما يفعله الآباء والأُمّهات حيالها،فمصّ الإصبع قد يُسبِّب بعض الألم له،وبمرور الوقت ستزول هذه العادة،لذا يجب علي الوالدين عدم توبيخ الطفل؛لأنَّ ذلك يجعله يشعر أنَّه أرتكب ذنباً لا يُغتفر،بل يجب عليهما أن يُراقبا الظروف والأحوال التي تُحبِّب إلي الطفل هذه العادة ويحاولا تلاشيها.

- نؤكِّد من جديد أن التفهُّم التَّام من قِبل الوالدين لمشكلات الطفل عموماً،ومشكلة مصّ الأصابع خصوصاً،إنمَّا يُعطيه الثقة بالنفس،وبالتالي إلي الإقلاع عن العادات السيئة وتركها بصورةٍ تلقائيةٍ.

- يجب تحقيق وإشباع حاجات الطفل الضرورية وخاصة حاجته إلي الحُبِّ والأمن واللَّعب والحُرِّيَّة والحركة،وأن تكون عملية التنشئة الاجتماعيَّة قائمة علي التوازن ما بين الحزم والعطف.

- توفير الهوايات والأنشطة الملائمة للطفل، وتوفير الهدوء اللازم لممارسة تلك الأنشطة،وإحاطة الطفل بجوٍ يسوده الحُبّ والطمأنينة.

- العناية الصحيَّة بالطفل وإجراء الفحوص الطبية الدورية للتعرُّف علي مُجمل الأسباب الجسميَّة التي قد تؤدي إلي تفاقم مشكلة مصّ الأصابع وغيرها من مشكلات.

- لا مانع من شراء بعض الألعاب الخاصة بالفم،مثل:المصاصات المطاطية المُصنعة وفقاً لتصريحات وزارة الصحَّة حتى لا تؤذي الفم،وذلك كمحاولةٍ لإقلاع الطفل عن عادة مصّ الأصابع.

- يجب أن يُمنح الطفل الفرصة ليوقف عادة مصّ الأصابع بشكلٍ تلقائي قبل بزوغ الأسنان الدائمة،أي ما بين ٤ ـ ٦ سنوات بحيث يجب علي طبيب الأسنان توضيح مساوئ هذه العادة للطفل،وما ينتج عنها من مشكلاتٍ، وبخاصَّةٍ المشكلات المُتعلِّقة بالناحية الجماليَّة،حيث يمكن للطبيب أن يعرض علي الطفل بعض الصور التوضيحية التي تُبيِّن العيوب التي نجمت عن هذه العادة من تشوُّهاتٍ،وذلك كي يصل بالطفل إلي مرحلة الاستعداد النفسي بضرورة إيقاف هذه العادة،وليكون لدي الطفل الرَّغبة الحقيقية بضرورة تخطي هذه العادة السيِّئة وخصوصاً كُلَّما تقدَّم السن به.

- هناك ثلاث طرق مختلفة طُبقت من قِبل أطباء الأسنان لعلاج حالة مصّ الأصابع حسب استعداد الطفل لإيقاف هذه العادة، كالتالي:

- **الطريقة الأوَّلي:**

وهي طريقة المعالجة التذكرية، وهي طريقة مناسبة للأطفال الراغبين في إيقاف العادة،ولكن يحتاجون إلي بعض المساعدة لإيقاف العادة بصفةٍ نهائيةٍ، وهي عبارة عن حزام خاص يوضع علي الإصبع الذي يمصّه الطفل يخدم في تذكيره بضرورة عدم وضع الإصبع في الفم.كما يمكن طلاء الأصبع بمحلول مُنفر يُذكِّر الطفل بضرورة الابتعاد عن مصّ إصبعه.

● **الطريقة الثانية:**

وهي طريقة نظام المكافأة، حيث يُعقد اتفاق بين الطفل ووالديه، يُشير الاتفاق إلي أن الطفل سيوقف هذه العادة لفترةٍ مُحدَّدةٍ خلال الشهر وسينال مكافأة علي ذلك.إنَّ المكافأة يجب أن تكون كافية لدفع حماس الطفل لمقاومة العادة خلال تلك الفترة.

● **الطريقة الثالثة:**

إذا استمرت العادة رغم ما سبق من محاولات مع رغبة الطفل الحقيقية في إيقاف العادة،عندها لابدّ من اللجوء إلي الطريقة الثالثة والتي تجعل عملية المصّ غير ممتعة، وذلك باستعمال الأجهزة الخاصَّة المخصَّصة لهذا الغرض.ويجب التأكيد علي أن هذه الأجهزة ليست عقاباً للطفل علي الإطلاق، بل لتذكرته بضرورة عدم وضع إصبعه في فمه.

●●●